

كلمة معالي فيليب تقسلافي حفلة الملتقى في منزل معالي هنري فرعونلتقديم كتاب " لبنان في شخصيته وحضوره "

يسعدني ويشرفني ان انقل اليكم في هذه المناسبة و تحية فخامة رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب الذي عرف ميشال شيحا عن كثب واحبه وقدره محبة وتقديرا بالخين .

سيداتني و ساداتني

سير الحديث عن ميشال شيحا بالامر السهل . فقد اوتي و بين القلائل من الرجال و ان تجتمع له مواهب وطاقات بلغت من التنوع ما ادهم الكثيرين بالمتناقض . ولكنه استطاع و بقدرة عجيبة و ان يصيها كلها كالرواقد في نهر واحد و ويجريها الى غاية واحدة هي لبنان .

كان ميشال شيحا رجلا مثاليا وعمليا في وقت معا . وعبيرته الفذة كانت في اقامة الجسور بين عبقرية الحلم وعبقرية الواقع . و انما لعمري مغامرة لا يخوضها الا المؤمنون و والنجاح فيها وقف على الحكماء . و ذلك هو سر المنظمة في الرجال .

اليس هو القائل : " لبنان بلاد الحلم والواقع مجتمعين " ؟ حياته كلها تشهد بجهد لتحقيق ذلك في نفسه وفي بلاده و آثار هذا الجهاد بيّنة في كل حقل و تصهر بطابعها الكثير من مناهجنا و مؤسساتنا

ان تاريخ لبنان في الفترة الممتدة من بداية الحرب الاولى الى نهاية الحرب الثانية هو في العميق من اسبابه و محصل ذلك الجهاد عند ميشال شيحا وامثاله لاي فئة انتموا في لبنان . نخبة ارتفعوا الى مستوى الاحداث والى مستوى الرسالة و فتلور هذا الوطن في وعيهم وانبعثت شخصيته و واصلة بين الماضي والحاضر و مظلة على المستقبل بكل ما يزخر في شعب عريق من عزم على بعث امجاده واستئناف دوره في انشاء الحياة وتطوير الحضارة .

لم يدخل ميشال شيحا معترك السياسة الا الى حين ، لكنه لم يخادره الا بعد ان ترك فيه علامة منه : الدستور . وفي ما اتصل من هذا الدستور نصا وروحاً ، بالتمثيل الشعبي في بلد تعددت عناصره ، ويتوزع المسؤوليات بين اجهزة الحكم ، وتكريس الحريات الاساسية ، ما يلقي ضوءاً على تفكير الرجل الكبير وعلى الطريق الذي سلكه بعد ان غادر المعترك . وكأني ~~ب~~ به لم يخادره الا لحدسه بان مكانه هو مكان القادة ، يرون منه ما لا يراه الجنود خلال الخبار ، فيرسمون الخطة ويوجهون المعركة .

وفي الواقع ، ان لميشال شيحا في الحمل الوطني يد المهندس الباني ويد القائد المدافع عن البناء . دوران مختلفان في المظهر ، متحدان في الجوهر والنهاية . وقد كان يقينه ان ما يسهم في بناءه وفي الدفاع عنه شيء يسمو على مشاغل الحياة العابرة . وفي الصرخة التي اطلقها ، في محاضرة له من المحاضرات التي تولف كتاباً جديداً ينضم الى سلسلة الكتب الذخائر ، ما يفصح عن همّه ، ويذكر بالصرخة التي اطلقها السيد المسيح على مقبني الهيكل ، عنيت قول ميشال شيحا : " ان ما ننبئه وما نطمح اليه في النهاية ليس فندقاً لسائح او دكاناً لتاجر او مكتبة لجوازات المهاجرين واللاجئين . نحن نطمح لبناء وطن وانشاء دولة " .

في مرحلتين الحاسمتين عن تاريخ لبنان الحديث - يوم اتبعث في حدوده الحاضرة ويوم اصبح سيداً فيها - يوم كانت المهمة هي نفع روح لبنان القديم في هيكله الجديد ومدّه بالما السحي من جذوره الضاربة في اعماق التاريخ والحضارة - يوم كانت المهمة هي التآليف بين الجبل والشاطئ ، وبين السلسلة الفقرية والرثة في الجسم الواحد - يوم كانت المهمة هي ازالة المحجب بين ابناء الوطن الواحد والموافقة بينهم وشده بعضهم الى بعضه على اسامر ان اختلافهم ليس خلافاً بين قوم ، بل تنوع لها وتعدادها ، وبالتالي وفرة وثنى - يوم كانت المهمة بعد ذلك هي الاستجابة لدعوة لبنان في زحمة الاخطار المحيطة به وبالعالم ، باستجازا لحرية واستقلاله - ويوم كانت المهمة هي ارساء قواعد التعاون بين لبنان والدول العربية الشقيقة في ميثاق الجامعة ، وبينه وبين العالم ، على صعيد السياسة والثقافة والاقتصاد جميعاً - يوم كانت المهمة هي دق ناقوس الخطر وتبصير لبنان والدول العربية والعالم بعاقبة تدفق اليهود على فلسطين واقامة اسرائيل واستشراء المطامع الصهيونية - يومها ، كان ميشال شيحا لتلك المهمات في مقدمة من كان ، بل كان الداعي اليها ووجه العاملين في سبيلها ، بأيمان وحكمة ، وببعد نظر يقرب من النبوة .

اما في مجال تجهيز لبنان - بعد ابراز شخصيته وتحديد رسالته - بجهاز الحكم وكيفية تسييره ، فقد كانت له آراء ومواقف صدر فيها ، كما صدر عن اخواتها ، عن معرفة باوضاع هذه البلاد وتقاليدها ، وطبايح اهلها وموهالاتهم ، ووعي لمعطيات العصر ، مطرماً في ذلك كله الحرية ، ~~ب~~ الايمان منه بان لبنان لا يستقيم له امر الا بالحرية ، فمؤسساته العامة يجب ان تتركز عليها قبل اي شيء آخر . ان الديمقراطية هي شكل

الحكم الوحيد الذي يصلح للبنان ، - والقول هنا لميشال شيحا - " مع مجلس تشققي فيه الطوائف على مراقبة الحياة السياسية ، فاذا حذفتم المجلس نقلتم النقاش حتما الى المعبد او الى طله ، واخرتم بذلك التربية المدنية " . وهكذا كان يقول منذ سنة ١٩٤٢ ، وقد زاد فيما بعد قوله : " ان لبنان لا توائمه الثورات والانقلابات ، وعليه ان يتحاشى الاستبداد والتسلط وتحكم فئة بغثة وضروب العنف جميعا " .

وقد كرم ميشال شيحا ذلك وبشر به وعلمه في كل حوار ومشورة ، بشجاعة وتجرد .

وكانت الحرية في نظره كالا لا يتجزأ . فالحرية في المعتقد وفي السياسة يجب ان تكون ايضا في الاقتصاد ، عملا وتجارة وتقل اشخاص واماوال ، وفي الثقافة تماطيا بين لبنان والعالم ، لا غرق بين شرق وغرب . " ينابيع ثروة لبنان ليست في رقعته الضيقة بل في فكره الواضح ، وستظل هذه الينابيع في اربعة اطراف الدنيا . ومسرحه هو الكون . وما دام العالم يأتي الينا بوصفنا طريقا حتميا من طرقه ، وملتقى من ملتقاته منذ اقدم العصور ، فعلينا ان نأثبه ونلتقيه تحت كل سماء ، وبكل لغة " .

سيداتي ، سادتي ،

عذركم اذا لم اجد في الكلام عن ميشال شيحا خيرا من كلامه استميره منه . يشفق بي وبه ان الكلام مردود الى لبنان ، هذا الوطن الذي احبه ميشال شيحا وغناه ، شعرا ونثرا ، وغذاء بعصارة عقله وقلبه ، وان هذا الكلام بالذات قد تحول روحا محييا يشيع اليوم في حياتنا نهجا للعاملين وتقليدا نلتزمه في كل حادثة جليل .

هذا الكلام ، بل تلك الفلسفة الملهمه ، اصبح من مقومات حياتنا الوطنية بل من بديهيات عمننا اليوم . بعد ان كان ، يوم كان يقوله ميشال شيحا ، نازلا في ضماير الغلة ، وجافيا آذان لكثرة ، واشبه بالبدع منه بسنن الفكر والعمل في لبنان والشرق العربي .

حسبنا ان الحلم الكبير يمضي اليوم الى معانقته واقع يطمح ان يكون من حجمه . وفي ذلك كل اليتا ، لميشال شيحا . وسيحفظ لبنان اسمه في السجل الذي تخضر به الشعوب الوقية مهندسي الاوطان وبناء الدول .

سيداتي ، سادتي ،

قيل ان الاحتفال بذكرى عظيم احتفال بميلاده المتجدد . والنائب الذي نجتمع باسمه اليوم حاضر من لبنان .